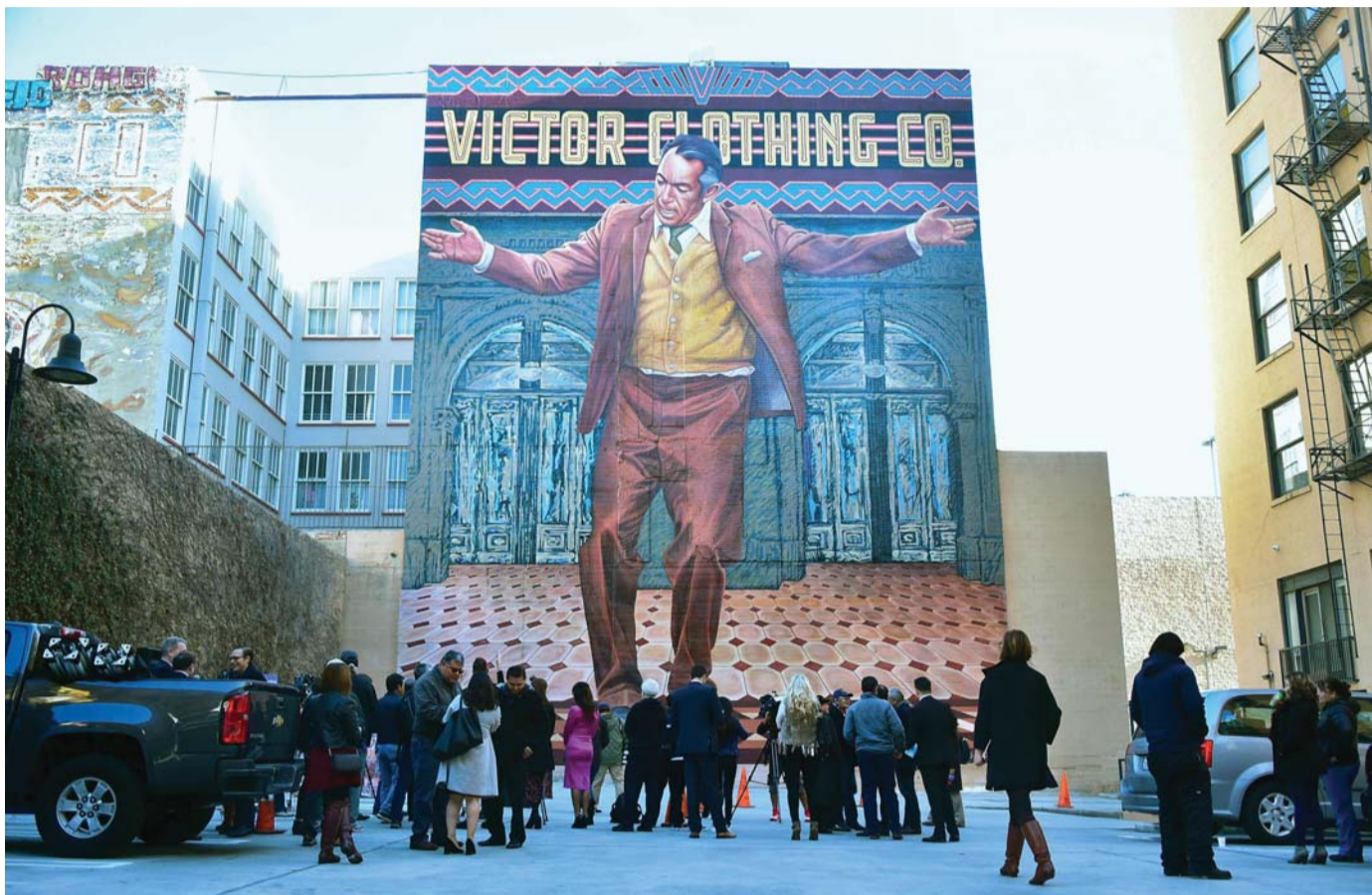


«زوربا».. عاشق للحياة شيبته التجارب ولا يكف عن المغامرة

أثر سينمائي انتهى إلى أن الإنسان يحتاج إلى فك القيد ليصبح حراً



عمل مازال حاضراً في ذاكرة العالم

تخبره بالسبب" فيجب بان الكتب تخبره "بمعانسة الرجال الذين لا يستطيعون الإجابة عن أسئلة مثل أسئلة".
ولا يكف زوربا عن الحياة، ويستجيب إلى كذبة ورطة فيها الرئيس، بالزواج من بوبولينا التي تتعجل ولا تبالي بعدم وجود كاهن، فإله يراهم، والرئيس شاهد، فيقترح زوربا الخروج "حتى يمكن له ان يرانا بشكل أفضل". وفي تعاقب الللال والنور، يقف الرجلان ويظهرهما للخلاء والبحر، يستقبلان الفندق الذي يأتي منه ضوء يصنع سجادة من النور على الرمال، وزوربا يرتل، وبوبولينا قادمة فيقترح زوربا بالاصطفاف للصلاة، ثم يرسم علامة الصليب لنفسه ولها. ولا تلبث ان تموت، وليس لها وريث، فيقتحم أهل القرية الفندق وينهبون محتوياته، وتتعرى الجدران إلا من الضوء، وينتزعها وحيدة مسعدة في سرير، وجسدها لا يزال محتفظا بحرارة الحياة. وينتهي الفيلم بقول زوربا إن الإنسان يحتاج إلى شيء من الجنون؛ إلى فك القيد ليصبح حراً، ويطلب منه الرئيس أن يعلمه الرقص.



زوربا بوعيه الفطري ورغبته في المغامرة، طغى على المؤلف والمخرج والموسيقي، وحقق شهرة تنسج دوائرنا بازدياد عشاق الموسيقى والباليه

فاز الفيلم بثلاث جوائز أوسكار: أفضل إخراج فني، وأفضل تصوير لوالتر لاسالي، وأفضل ممثلة مساعدة لليللي كيدروفا، من سبعة ترشيحات للفيلم أنتج بعد سبع سنوات على موت كازانتزاكيس الذي سجل في سيرته "تقرير إلى جريكو" أن زوربا غول، علمه كيف يحب الحياة، والأخاف الموت، "يا لهذا الراقص المحارب ذي النفس العظيمة والجسد المتمكن والنداء المنطلق الذي لم أن، ولم أعرف، له شبيها في حياتي كلها،" وأن الذين تركوا في نفسه أثرا عميقا هم هوميروس وبودا ونيبتشه وبيرجسون وزوربا، ولو سئل عن اختيار "دليل روحي... فلا شك أنني كنت سأختار زوربا".

المنج، فياتون ويعرف اثنان منهم ويطلب في صمت وامتنان، وفي عينها فرحة واطمئنان وطيبة ابتسامته. ويكتفي زوربا بصغير يتشقى به منهم، ويواصل الصغير الذي يقطع الصمت المتصل، والعيون تنغم على الرئيس يقبل الأرملة شمسيته. ويفتخر بقلو من الإشفاق عليها والغضب منهم هاربا من المقهى، ويعودون إلى الصمت مخذولين؛ لانتصار الأرملة عليهم، وعودتها إلى البيت بكبرياتها.

عش في خطر

وفي الصمت كان زوربا يرسم على ورقة بيضاء، ويهمس فلا يسمعه إلا الرئيس، ويدعو إلى النظر إلى وجوههم، ويخبره بان بافلو غاضب لهيامسه الشديد بالأرملة، وأنها بصقت في وجهه، فازداد تعلقها بها، وجميعهم يتشبهونها، ويكرهونها لأنهم يعجزون عن نيلها. ويسر إليه بان هنا رجلا واحدا فقط يستطيع الوصول إليها، "أنت". ويتسم زوربا في لوم الفرح، أو فرح اللئيم الذي شبع من الدنيا، ويؤكد أنه قرأ نظرتها وهي تتناول الشمسية. ويتسم الرئيس مهوونا من المبالغة، فيوضح له الحكيم أن بين يديه هدية من الجنة، ومن السذاجة ألا يضيئها، وأن الله أعطانا الأيدي لنتشبث بالعبايا.

ويمران ببينتها، وقبل الاقتراب ينصحه زوربا بطرق الباب، بحجة استعادة الشمسية، والرئيس يرفض. ويعجب زوربا لهذا التردد، ويتوقع أنها تنتظر الزيارة. وكانت تطل من وراء الستارة من حيث لا يريدونها، وتكاد تسمع زوربا يقول لسان نيتشه "إذا أردت أن تحصل على أجل ما في الحياة فعش في خطر"، وزوربا لم يقل هذا المعنى بهذه الفصاحة، وإنما بخبرة السنين "يا رئيس، الحياة مشكلة، الموت هو الوحيد الذي ليس مشكلة. ولكي تكون على قيد الحياة يجب أن تفك حزامك وتبحث عن المشكلة". وكان الرئيس خجولا غير خبير بالنساء، ولا يزال أقل من التعلم من فلديفة زوربا الذي أصابته خيبة أمل. وكانت الأرملة تراقب وتترقب، وفي مسافة ضيقة بين الستارة وإفريز النافذة بدت عينها اليسرى سهما ينكسر، في لحظة خاطفة طولها أقل من ثانيتين، ولكنها جسدت في إيجاز معاني الحسرة والخذلان. وفي وقت لاحق سيذكر زوربا للرئيس قول تركي حكيم له "الله قلب رحيم، ولكن هناك دنبا واحدا لا يغفره لأحد. إذا دعت امرأة رجلا إلى الفراش ولم يستجب".

لا يخطط زوربا لأي شيء، هو ابن عفوية الحياة، يجزب فيخطئ ويصيب، ويقع فينفض. يرى أمامه مثقفا تعوزه التجربة، فيدعو إلى الرقص معه، ويضرب زوربا بيده ضربات ليعثر على النغمة. ويرفع زوربا ليجسد النغمة بأصابعه، ويظهر في الهواء ويدور حول نفسه، والرئيس يحمل المصباح ويتعجب. ويستدعي زوربا النغمة من خياله ويقفز فوق المائدة فوقق الفرحة عاملين في

لمنجم بفر العمال، تاركين الآتهم في بطن الجبل، ولا يبقى غيره فيظنونه مات، ثم يرثه خارجا يكسوه الغبار، ويعطيهم ظهره ويواجه الجبل متحديا "إنها الجبل اللعين، ساكن أحمشاك". ويشفق الرئيس عليه وعلى العمال، ويرى أن يرتاحوا يوما، وهنا يبدو وجه آخر لزوربا الساخر من رأسمالية هجينة يتمتع بها الرئيس "هل أنت رأسمالي غير خالص".

في أقل من عشرين ثانية يقدم الفيلم بلطته ويسو (المثقلة اليونانية إيرين باباس)، وهي أرملة جميلة تحتفي دائما بالغضب وبثوب واحد أسود. مشهد صامت مثل أغلب مشاهدنا، فلا تنطق طوال الفيلم إلا بضع كلمات، ولا يسمع لها صوت إلا في مشهدتي الغناء والحب. وكان الرئيس وزوربا على رأس موكب يضم عجائز وأطفالا من القرية، يزفونها إلى فندق "بوبولينا". وفي الأعلى تطوي "ويدو" سلاوات منشورة تداعبها الريح. ومن بعيد ربما لخصها الرئيس، والأرجح أنها راته بعينها اليمنى، وكانت اليسرى لخبوة بلازمة البيضاء.

اللقاء الثاني بين الرئيس والأرملة يمدح لتراجيديا النهاية، كان المطر يهطل، ويلجأ زوربا والرئيس إلى المقهى الذي يتصدره مفارونوي (الممثل اليوناني جورج فوندياس) وابنه بافلو (الممثل اليوناني يورجو فوياجيس)، وسط جمع من العمال، وقفت عذرة ويدو سور البيت، واقتربت من المقهى فاندخلوها؛ ليستدرجوا الأرملة التي بحثت عن العذرة وانهدت إلى مكانها. ولا يرد عليها أحد على سؤالها: أين العذرة؟ وكان بعضهم يخبئها على سبيل المازحة، ويردون على سؤال المرأة بالسخرية في قهقهة ضابقت الشباب بافلو، فغضب وحاول المساعدة ولم يستطع، فتشعر الأرملة بالوحدة والقهر، وتبكي في صمت، فيخلص زوربا منهم العذرة، ويحملها إلى الباب في صحة الرئيس، وتستدير الأرملة نحو الجمع وتبصق، وتتسلم العذرة، وفي صمت يبادر الرئيس بإعطائها الشمسية

على إيقاع موسيقى زوربا يبدأ فيلم "زوربا اليوناني"، وبها أيضا ينتهي مضافا إليها، في المشهد الأخير، رقصة حررتها موسيقى ميكس ثيودوراكييس من حدود شخصية كتبها نيكوس كازانتزاكيس، ورسم ملامحها السينمائية المخرج مايكل كاكويانيس، وجسدها أنطوني كوين. ثم تخلصت القطوعة من هذا كله، واستقلت عابرة الأجيال والثقافات، واستقرت واحدة من الكلاسيكيات، ولعلها الآن أشهر موسيقى تقترن برقصة تدعو إلى عشق الحياة. زوربا هو هدية القدر إلى كازانتزاكيس الذي ظل مدينا له ويعتبره دليله الروحي. ومنذ مصادفة اللقاء به، أيقن الكاتب أنه عثر على كنز، وبدا أن كليهما كان ينتظر الآخر. وتمكن كازانتزاكيس (1883-1957) من الوصول إلى روح زوربا وانتزع من الحياة البوهيمية، وزرعه في أرض الأدب برواية اختار لها عنوان "زوربا اليوناني" عام 1946. وفي عام 1964 اصطحب مايكل كاكويانيس شخصية زوربا من الأدب، وأطلقها في فضاء السينما الأكثر رحابة. ولم يكن الموسيقي اليوناني ثيودوراكييس أقل حظا من كازانتزاكيس وكاكويانيس، فأصابه ذلك السحر، وألهمه زوربا موسيقى ترتبط الآن بالشخصية الدرامية لا بمؤلفها. وهكذا يكون زوربا الأمي، بوعيه الفطري ورغبته الدائمة في المغامرة، قد طغى على الثلاثة الكبار (المؤلف والمخرج والموسيقي)، وحقق شهرة عالمية تنسج دوائرنا بازدياد عشاق الموسيقى والباليه وغيرهم من يرغبون في أن يكونوا فوق الحياة قليلا.

الكاتب ويقدمها إليه، ويلتقط الرجل سيجارة، ويلخ عليه الكاتب ان يحتفظ بالعلبة كلها، ويرد يتعجب أنه يريد واحدة فقط. وبانفة ينتظر أن يشعل له الكاتب

في المبناء يلتقي رجلا لا يمكن، بحكم المنطق وطبائع العلاقات بين الناس، أن تنشأ بينهما صداقة؛ فلكليهما عالم نقض الآخر. كاتب إنكليزي أتيق، يحتمي من المطر بشمسية وبها يحمي صندوق الكتب من البلل. وعامل أمي غير متقل بشيء، وكل متاعه أغراض قليلة في بقعة يربطها بجبل في غير إتيقان، وتنبه مخلدة الجنود وتتدلى من كتفه وراء ظهره. ويحمل في الكتف الأخرى حقيبة صغيرة تنسج لالة موسيقية يسميها "سانتوري" تصاحبه أينما يذهب.

زوربا وريث الصعاليك

في تعبير بصري بلغ، يلخص المشهد الأول في الفيلم عالمي الرجلين. شباب يجلس مطمئنا في الاستراحة، بنياط كاملة مهذمة تحت المظلة، هو الكاتب باسيل (الممثل البريطاني آلان باتس)، ملامحه واضحة، صارمة أيضا بوجه مضى، وشعر معتنى به تحت قبعة، ويفتح كتابا من منتصفه فيبدو أنه يواصل القراءة، انتظارا لإبحار السفينة بعد هبوب العاصفة. والعالم زوربا (أنطوني كوين) في الخارج يستشف الاستراحة، ويظهر عبر زجاج نصف معتم، مغشٍ من أثر الرذاذ ويخفي الكثير من ملامح وجهه بشي بأنه لرجل خرج الآن من منجم، ثم يدخل الاستراحة بنياطه الرثة، ويتأمل الوجوه، وتستقر نظراته على الكاتب الذي يترك القراءة والكتاب لا يزال مفتوحا في يده، ويبادلته نظرة ثم يواصل القراءة. يقرب منه زوربا، ويقتمحه بنظرة تنسم بالحدة واللثة والذكاء، كأنه لا يرى غيره. ويتشغل الكاتب بالقراءة، وهذا لا يروق زوربا فينزع بيمينه البيديه الملقوب ويضرب به كفه اليسرى، فينفض المطر، ويحدث صوتا يجبر الكاتب على الانتباه. ويساله زوربا مباشرة "أنت على سفر". ولأن الكاتب مثل كل المنظرين على سفر، فليس للسؤال معنى، ولكنه محاولة أمسة لفتح حوار يخلو من الالتباسات. ويظهر إليه الكاتب، ويساله زوربا عن وجهته، فيجيب: كريت. ويرجوه زوربا أن يصطحبه معه، ولو طباخا له.

اكتشاف الذات والعالم

في القرية يبدأ الرئيس رحلة اكتشاف الذات والعالم، ويتعلم من خبرة زوربا في الحياة ما لا تمكنه له قراءة الكتب. ويكتسب خبرات في التعامل مع ما يطرا من مشكلات في مجتمع مغلق يضم العجائز والعمال والأعيان والرهبان وأرملة فاتنة ترفض الزواج، ولا تستمع لأحد بالاقتراب من بيتها أو مساعدتها باستثناء شاب لديه بعض الإعاقة العقلية، اسمه ميميكو (الممثل اليوناني سوتيريس موستاكاس). ليس في القرية غريب إلا الرئيس والسيدة هوريتيس، وهي فرنسية يناديها زوربا باسم الدلال "بوبولينا"، وتمتلك فندقا صغيرا، وتعيش وحيدة على نكرياتها، وقد جاءت إلى كريت مع الأسطول البريطاني رفيقة للأدميرال، ثم أقامت علاقات مع ثلاثة أدميرالات من فرنسا وإيطاليا وروسيا. وامتدت علاقاتها كخليفة لأقرباء في بيروت والإسكندرية وإسطنبول.

في مشهد قصيرة، يقدم الفيلم الذي يبلغ طوله 142 دقيقة أبطاله، وأولهم زوربا الحكيم الذي يجيد قراءة الوجوه، فهو جسور لا يهاب الموت، ولكنه غير متهور، ويلوذ بالصمت أحيانا إذا لزم الصمت. ففي أحد انهيارات الدعامات الخشبية

سعد القرش
روائي مصري

في التعبير بصري بلغ، يلخص المشهد الأول في الفيلم عالمي الرجلين. شباب يجلس مطمئنا في الاستراحة، بنياط كاملة مهذمة تحت المظلة، هو الكاتب باسيل (الممثل البريطاني آلان باتس)، ملامحه واضحة، صارمة أيضا بوجه مضى، وشعر معتنى به تحت قبعة، ويفتح كتابا من منتصفه فيبدو أنه يواصل القراءة، انتظارا لإبحار السفينة بعد هبوب العاصفة. والعالم زوربا (أنطوني كوين) في الخارج يستشف الاستراحة، ويظهر عبر زجاج نصف معتم، مغشٍ من أثر الرذاذ ويخفي الكثير من ملامح وجهه بشي بأنه لرجل خرج الآن من منجم، ثم يدخل الاستراحة بنياطه الرثة، ويتأمل الوجوه، وتستقر نظراته على الكاتب الذي يترك القراءة والكتاب لا يزال مفتوحا في يده، ويبادلته نظرة ثم يواصل القراءة. يقرب منه زوربا، ويقتمحه بنظرة تنسم بالحدة واللثة والذكاء، كأنه لا يرى غيره. ويتشغل الكاتب بالقراءة، وهذا لا يروق زوربا فينزع بيمينه البيديه الملقوب ويضرب به كفه اليسرى، فينفض المطر، ويحدث صوتا يجبر الكاتب على الانتباه. ويساله زوربا مباشرة "أنت على سفر". ولأن الكاتب مثل كل المنظرين على سفر، فليس للسؤال معنى، ولكنه محاولة أمسة لفتح حوار يخلو من الالتباسات. ويظهر إليه الكاتب، ويساله زوربا عن وجهته، فيجيب: كريت. ويرجوه زوربا أن يصطحبه معه، ولو طباخا له.

في القرية يبدأ الرئيس رحلة اكتشاف الذات والعالم، ويتعلم من خبرة زوربا في الحياة ما لا تمكنه له قراءة الكتب. ويكتسب خبرات في التعامل مع ما يطرا من مشكلات في مجتمع مغلق يضم العجائز والعمال والأعيان والرهبان وأرملة فاتنة ترفض الزواج، ولا تستمع لأحد بالاقتراب من بيتها أو مساعدتها باستثناء شاب لديه بعض الإعاقة العقلية، اسمه ميميكو (الممثل اليوناني سوتيريس موستاكاس). ليس في القرية غريب إلا الرئيس والسيدة هوريتيس، وهي فرنسية يناديها زوربا باسم الدلال "بوبولينا"، وتمتلك فندقا صغيرا، وتعيش وحيدة على نكرياتها، وقد جاءت إلى كريت مع الأسطول البريطاني رفيقة للأدميرال، ثم أقامت علاقات مع ثلاثة أدميرالات من فرنسا وإيطاليا وروسيا. وامتدت علاقاتها كخليفة لأقرباء في بيروت والإسكندرية وإسطنبول.

في مشهد قصيرة، يقدم الفيلم الذي يبلغ طوله 142 دقيقة أبطاله، وأولهم زوربا الحكيم الذي يجيد قراءة الوجوه، فهو جسور لا يهاب الموت، ولكنه غير متهور، ويلوذ بالصمت أحيانا إذا لزم الصمت. ففي أحد انهيارات الدعامات الخشبية



زوربا ابن عفوية الحياة